



خروج سيدنا يوسف من السجن

04 برنامج أمل وانتصار

الدرس العاشر: شرح الآيات 50 - 55

2021-01-16

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.
أيها الإخوة الأحباب: مع اللقاء العاشر من لقاءات سورة يوسف ومع الآية الخمسين من السورة وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاَسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ الَّذِي قَطَعْتَ أَبَدِيَّهُمْ إِنَّ رَبِّي يَكْفِيهِمْ عَليمٌ (50)
(سورة يوسف)

تذكير بما سبق:

كما أسلفنا يوسف عليه السلام في السجن كان في آخر مَحْتَوٍ من مَحْتَوٍ الثلاث من امتحانات العُسر، يوسف عليه السلام خاض ثلاثة امتحاناتٍ في العسر، الأول في الجُب، والثاني في القصر، والثالث في السجن، وبعد ذلك جاء التمكين، نجح بثلاثة امتحانات وهي من أصعب الامتحانات لكنها امتحانات الأنبياء:

{ قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قال: الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، -أو قال: على حَسَبِ دِينِهِ- فَإِنْ كان ضَلَبَ الدِّينِ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كان في دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ، فما يَبْرُخُ البلاءُ بالعبدِ حَتَّى يَمِيتِيهِ، وليس عليه خطيئَةٌ {
(أخرجه الترمذي)

في محنة السجن، يوسف عليه السلام كان مُحسِنًا، وأَوَّلَ الرؤيا لساقِي الملك ولخَبَّارِ الملك، صاحب طعامة وصاحب شُفياه، ولمَّا جَرَا من السجن؛ قال يوسف عليه السلام: **(ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)** للساقِي الذي يسقي رُبَّه خمرًا، وهذا من الأنبياء ليس هو الحال الأمثل؛ أن يطلب النبي شيئًا مِنْ غيرِ الله **(فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ)** لَبِثَ يوسف في السجن بضع سنين، الآن لَمَّا خرج؛ ورأى الملك رؤيا وهذه الرؤيا جِئَتْهُ لَمَّا فِيهَا من رموز غير واضحةٍ له، فلَمَّا رأى هذه الرؤيا واحترار بتفسيرها طلب من الجاشية من يُعَبِّرُ له رؤياه فتذكَرُ السَّاقِي بعد أُمَّة **(وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)** تَذَكَّرَ الأمر وقال: **(أَنَا أَنْتُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَارِئُونَ)**، الآن لَمَّا جاء إلى يوسف، يوسف عليه السلام مُحسِنٌ رغم كلِّ ما فعلوه به أَوَّلَ الرؤيا فورًا ولم يقل له: ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة، بل أَوَّلَ الرؤيا، فَرَجَعَ إلى الملك وأخبره بتأويل الرؤيا وبما قال يوسف عليه السلام، فالملك أعجِبَ جدًّا بهذا الرجل الذي يُؤَوِّلُ هذا التأويل الواضح المُرتبط تمامًا بالرؤيا التي رآها فهنا: **(وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤَنِّي بِه) أريد هذا الرجل، أريد أن أراه.**

رغبة سيدنا يوسف بالحصول على براءته:



أثر التربية الإلهية في نفس سيدنا يوسف

فلما جاءه رسول الملك، ربما يكون الرسول هو السَّاقِي نفسه أو بَعَثَ رسولًا آخر مختصًا بهذه المسألة في أن يطلبه للقاء الملك، **(فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ)** هنا يوسف عليه السلام لم يقل بعد أن أَوَّلَ الرؤيا، بل أراد أن يُحْصَلَ براءته، لا يريد أن يعجَّلَ بالخروج من السجن، انظروا إلى أثر التربية الإلهية العظيمة في نفس يوسف، احتاج الأمر سبع سنوات، حتى لا يستعجل الإنسان، احتاج الأمر سبع سنوات، لَمَّا خرج السَّاقِي قال له: **(ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)** لَمَّا جاء يقول له: جاء الفرج اخرج، قال له: **(ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ)** لا أريد أن أخرج، الأنبياء يصطنعهم ربنا جلَّ جلاله لنفسه وعلى عينه جلَّ جلاله، فتكون لهم تربية خاصة جدًا جدًا جدًّا، وكلنا لنا نصيب من هذه التربية، حتى يصل كلُّ واحدٍ فينا إلى أن يصبح من أولياء الله يحتاج إلى تربية، هذه التربية تأتي حينًا بنقص الأموال، حينًا بأن تطلب من إنسانٍ فيؤدبك الله ويحجب عنك الإجابة حتى ترجع إليه.

منذ يومين كنت مع أخ أقام وليمةً لأمر يسَّره الله له، فقلت: ما هذا الأمر؟ فقال: سأروي لكم قصتي، فتحدث عن قضية في المحكمة مضى عليها سنتان وهو محقُّ بها مئة بالمئة ولكن المحكمة حكمت عليه بالمال، وكان متعلقًا بأشهر المحامين وكان يقول في نفسه كل يوم: القاعدة الرئيسية إذا كنت في أمرٍ عسيرٍ عليك أن تذهب إلى المحامي الأقوي في البلد فهو الذي يربح الدعوى، لا تذهب إلى المحامين البسطاء المتخرجين حديثًا، وكان يقول على ذلك كثيرًا، فخذله كلُّ المحامين ولم يستطيعوا فعل شيء، إلى أن أدرك خطاه وأدرك أنه تعلق تعلقًا لا حدود له بالملوك، فتجذَّرَ لله فرأى رؤيا وألهمه الله سؤالاً ربما لا يسأله أحد، فتبين أن الحكم صدر بغياب أحد القضاة وهو مسافر واستخرج ورقة تبين أن هذا القاضي الذي أصدر الحكم لم يكن في البلد وقت إصدار الحكم، وتقصَّ الحكم وُرفِعَ عنه ما يقارب المليون لَمَّا تجرَّدَ لله، قاله تعالى يُرِي عِبَادَهُ.

فيوسف عليه السلام نبِيٌّ من أنبياء الله لَمَّا قال: **(ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)** **(فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ)** أنسى الشيطان هذا الرجل السَّاقِي أن يذكر يوسف عند ربه **(فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ)** الآن لَمَّا تربى يوسف في هذه السنوات الطَّيِّعَ على أنَّه لا ينبغي أن يتعلَّقَ إلا بالله عزَّ وجلَّ جاءه الآن الرسول ولم يقل له: لقد ذكرتُك كما طلبت، جاءه ليقول له: اخرج فالملك يريدك، لكن يوسف عليه السلام الآن متعلقٌ بملك الملوك وليس بملوك الأرض فقال له: **(ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ)** لن أخرج معك حتى تثبت براءتي وحتى أخرج من غير شبهةٍ ومن غير تهمةٍ.

التواضع والاعتراف بفضل الآخرين:

هنا أريد أن أذكر حديثًا صحَّحه أهل العلم ورواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

{ عَجِبْتُ لَصَبْرِ أَخِي يُوسُفَ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ يَعْفِرُ لَهُ حَيْثُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ لِيُسْتَفْتَى فِي الرُّؤْيَا، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ حَتَّى أَخْرَجَ. وَعَجِبْتُ لِصَبْرِهِ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ يَعْفِرُ لَهُ أَتَيْ لِيَخْرُجَ فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّى أَخْبَرَهُمْ بِعُذْرِهِ، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَبَادَرْتُ الْبَابَ، وَلَوْ لَا الْكَلِمَةُ لَمَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ حَيْثُ يَنْتَبِغِي الْقَرَجَ مِنْ عِنْدِ عَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ }

(أخرجه الطبراني)

(وَأَوَّلَا الْكَلِمَةَ) وهي قول يوسف عليه السلام: **(ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)**، لأنه ابتغى القَرَجَ عند غير الله عزَّ وجلَّ، فلولا كَلِمَتُهُ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ بضع سنين، لَبِثَ فِي السَّجْنِ بضع سنين من أجل كلمةٍ قالها تعلق بها بغير الله، فانظروا إلى التربية، أولاً النبي صلى الله عليه وسلم أودى في الله وما أودى أحد مثله، كما جاء في الصحيح:

{ مَا أُوذِيَ أَحَدٌ مَا أُودِثَ فِي اللَّهِ }

(أخرجه ابن حبان)



نُعلِّمُنا النبي الكريم أن الأنبياء إخوة

والنبي صلى الله عليه وسلم من أشد الأنبياء إيداءً، لكن هذا من تواضعه ووفائه لأنبياء الله وتعليمنا لنا بالاعتراف بالفضل، النبي صلى الله عليه وسلم هنا يُعلِّمُك أن أنبياء الله أخوة يقول: **(عَجِبْتُ لَصَبْرِ أَخِي يُوسُفَ وَكَرَمِهِ)** ثم يقول عن نفسه: أنا لو جاؤوني ليستفتوني ما كنت أجبتهم، وبأي هو وبأمي لو جاؤوه واستفتوه لأفتاهم فهو أكرم الخلق صلى الله عليه وسلم، لكن ينظر إلى إخوانه بهذا التواضع، نُعلِّمُنا أن تتواضع لإخوانك وأن تقول: أنت خيرٌ مني، قال تعالى:

يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
عُفِّرَاتِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)

(سورة البقرة)

لكن الله عزَّ وجلَّ جعل نبيه صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل وجعله فوق كل الرسل، فالله تعالى يُفَضِّلُ من شاء من رسله، أما نحن فنؤمن بهم جميعاً من غير تفریق، فَنُعلِّمُنا النبي صلى الله عليه وسلم هنا هذه الحقيقة بأن تعترف بالفضل للآخرين وأن تنظر إلى أعمالهم والأشكر ما فعلوه.

صبر وكرم سيدنا يوسف:

فيقول: **(وَعَجِبْتُ لَصَبْرِهِ وَكَرَمِهِ)** يؤكد على شيئين؛ الحديث هنا على صبر يوسف وعلى كرمه، الصبر: أن تلبث في السجن، تخَلَّ سبعة سنوات وقبلها كان هناك سنوات، يوسف أقل شيء لبث في السجن عشر سنوات أو أكثر مظلوماً متهماً بريئاً، الآن جاءه الفرج وفتِّح الباب وقال: الملك يستدعيك، أي صبر يحتاجه الإنسان ليقول له: لن أخرج **(أَزِجْ إِلَى رَبِّكَ فِاسْأَلْهُ)** وهو يقول في نفسه ربما الملك يقول لهم: من هذا الرجل الذي أطلبه إلي فيقول **(أَزِجْ إِلَى رَبِّكَ فِاسْأَلْهُ)** لا أريده ويعلم أنه يمكن أن يحصل ذلك، فهو صبر على اللبث في السجن لأنه يعلم أنه امتحان يجب أن يخوضه.

وأما الكرم فكان عندما جاؤوه يطلبون الفتيا بعد أن آذوه وفعلوا بها ما فعلوا فلم يَصْنَعْ عليهم، بل أعطاهم تأويل الرؤيا من أجل أن يضمن لهم المستقبل حتى يصلوا إلى العام الذي يُعَاثُ فيه الناس وفيه يعصرون **(ثُمَّ تَأْتِي مِنْ تَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصَرُونَ)** فكان صابراً كريماً، قد يصبر الإنسان ولا يكون كريماً، يصبر لأنه مضطَّر للصبر لكنه يقول لك: والله لا أستطيع أن أغفر، قال تعالى:

يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)

(سورة الشورى)



الصبر والتسامح صفتا أهل الإيمان

أن تصبر وتُسامح معاً هذه لا يُطبقها إلا أهل الإيمان، فيوسف عليه السلام الآن قال له: (اِزْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَذِبِهِنَّ عَلِيمٌ) يوسف تشبّه لهذا الرسول الرب فقال له: (اِزْجِعْ إِلَى رَبِّكَ) ثم قال: (إِنَّ رَبِّي بِكَذِبِهِنَّ عَلِيمٌ) فهو لمّا فاسنّ الأمر على نفسه فزّبه هو الله لأنه يَدِينُ له بالطاعة أما أنتم فتتخذون أرباباً من دون الله فهذا ربُّك (اِزْجِعْ إِلَى رَبِّكَ) ثم قال له: (إِنَّ رَبِّي بِكَذِبِهِنَّ عَلِيمٌ) وكأنه أيضاً يشير هنا إلى قضية التوحيد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَعَرِّفُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39)

(سورة يوسف)

فهو ربُّك لأنك تدِينُ له، ما مفهوم الرب؟ هو الذي يرجع الإنسان إليه ويدِينُ له وهو الذي يظنُّ الإنسان أنه هو من يُعطيه ويمنحه ويَهْتِئُ فيرجع إليه، قال له (اِزْجِعْ إِلَى رَبِّكَ).

لا ينبغي أن تُبقي نفسك في موضع الشبهة والتهمة:

إذاً قال له: (اِزْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) حادثة المراودة طويلة، لكن جاء بقصة (النِّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) لشيئين، الشيء الأول: لأنها حادثة بارزة جداً في القصة، فإن يدخل يوسف والنساء يجرحن أيديهنَّ! هذا هو الحديث الذي انتشر أكثر في المدينة من انتشار الخبر الأول وهو مراودتها له، فجاء بالخبر الأكثر انتشاراً.



لا يُبقي نفسك في موضع الشبهة والاثهام

الأمر الثاني: أن هذا يُبرِّئه أكثر لأن التهمة لم تعد فقط من امرأة العزيز فهؤلاء أصبحن أيضاً يراودنه عن نفسه، والدليل أنه بعد الحادثة كما مر معنا قال: (وَأِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) لم تعد واحدة إنما أصبحت المؤامرة عامة، فلم تعد امرأة العزيز هي من تريد منه أن يُواقعها في المعصية وإنما أصبحت النسوة كلهن معها في الشر، فأراد أن يُبرِّئ نفسه من الشر كله فقال له: (اِزْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) الله تعالى يعلم ما كادوه لي ولن أخرج حتى أبرئ ساحتي وأخرج من غير تهمة، وهنا يعلمنا يوسف عليه السلام أنك لا ينبغي أن تُبقي نفسك في موضع الشبهة والتهمة ولو كنت تعرف نفسك بريئاً طاهراً، وهذا مصداق لفعله صلى الله عليه وسلم:

{ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَكِّفًا، فَأَتَتْهُ أَرْوَرُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثَتْهُ، ثُمَّ قُمْتُ لِأَتَقَلِّبَ، فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ،

فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُثَيِّ
فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا، أَوْ قَالَ شَيْئًا {
(صحيح مسلم)

الشیطان موجود وقد یوسوس لکما، فالإنسان ینبغي أن یتزیر ساحتہ دائماً ولو کان یعلم نفسه أنه علی حق، ولا یقول: إذا كنت أعلم أنني علی حق فلا یهمنی الناس، لا یا أخی، تعلم أنك علی حق وحاول أن یتزیر ساحتک أمام الناس، الآن إن اتهموک ظلماً وبهتاناً فحسبک الله، لكن أن تضع نفسك موضع التهمة ثم تلوم الناس إذا اتهموک فهنا المشكلة، فهذا أيضاً درس من یوسف علیه السلام لا یرید أن یرجع ثم بعد حین یصبح عزیز مصر ومازالت النسوة ومازال الرجال یتھامسون: أترون ذلك العزیز عزیز مصر هذا الذي راودتہ يوماً امرأة العزیز، فأراد أن یتشیع خبر براءتہ کما شاع خبر تهمتہ وهذا من حکمة وأدب الأنبياء، فقال: **(إِنَّ رَبِّي يَكْبِihنَّ عَلَیْهِم)**.

إعجاب الملك بسیدنا یوسف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ فُلْنَ خَاسِنٌ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ شَوْءٍ قَالَتْ افْتَرَأْتِ الْغَيْرِ الْآنَ خَصَصَ الْحَقُّ أَتَا رَاوْدَتُهُ عَن
نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51)

(سورة يوسف)



طهارة النفس وعَفْنُهَا أَهْمٌ مِنْ حَرِيَةِ الْجَسَدِ

الآن قال الملك: **(قَالَ مَا خَطْبُكُمْ)** يخاطب النسوة، أعجب بيوسف أيما إعجاب وازداد إعجابه به الآن لما رأى من عَفْنَتِهِ وطهارته، وأنه لا یرید أن یرجع من السجن وأن السجن عنده والحرية سواء ما دام متهمًا، فالبراءة عنده أهم، أي إن طهارة النفس وعَفْنُهَا أَهْمٌ مِنْ حَرِيَةِ الْجَسَدِ، وهذا لا يطيقه إلا الصادقون أن تكون القيم أهم عندك من حرية الجسد، وأن تكون طهارة النفس أهم عندك من حرية الجسد، فليسان حال يوسف: أبقى في السجن ولا أخرج وأنا متهم تهمة باطلة، فإذا ازداد إعجاب الملك به وبِعَفْنَتِهِ، وهذا درس لكل من يقف على أبواب الحكام والأمراء والسياسيين ويتزلف ويبيع دينه ويقول قولاً مخالفاً للحق لإرضائهم، وهو يظن بذلك أنه ينتزع إعجابهم وهو في الحقيقة لا ينتزع إلا احتقارهم له، لأنهم يعلمون نفاقه وهو يتكلم، ويشيرون له بالموافقة وهم يعلمون بأنه يتكلم كذباً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِرَهُ (15)

(سورة القيامة)

فهذا درس للجميع لا تقف بباب أحدٍ إلا بباب الله، جاءه الفرج واللقاء مع الملك وما قال له: والله أقف في خدمتك يا سيدي وأنت قل لي ومرني بما تشاء... ولو فعل لربما احتقره الملك وما وافق على أن يجعله عزیز مصر، وحاشاه أن يفعل وهو نبيُّ الله أن يتزلف لأحد من خلقه، فلما عرَّ بنفسه عرَّ عند الناس، لكن عندما يهون الإنسان أمام نفسه يصغر عند الناس ولو أجلوه إلى حين، لكنهم يعلمون أنه صغير وأنه لا قيمة له.

إذ جَمَعَ الملك النسوة لينحرن عن الموضوع وقال: **(مَا خَطْبُكُمْ)** والخطب: هو الأمر العظيم الجلل، فقال: **(مَا خَطْبُكُمْ)** لأن الأمر أذيع وانتشر حتى أصبح عامًا شاملاً فقال: **(قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ)** الملك الآن مقتنع؛ وفي الأصل بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات على براءة يوسف، بدا لهم أن يسجنوه من أجل لَمِّ الفضيحة، فالقصة معروفة، لكن الآن إظهار الحقيقة أمام الناس **(قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ)** فلن خاسن لله ما عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ شَوْءٍ يوسف لم تعلم عليه؛ لم يقل: ما علمنا أنه سيء، وإنما قلن: **(مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ شَوْءٍ)** فهذه نكرة (شَوْءٍ) جاءت قبلها من تستغرق أفراد النسوة، يعني لم تعلم عليه أي شيء تسوؤه، ليس فقط أنه لا يُراود امرأة أو يطلب منها الحرام، لكن أصغر من ذلك، نظرة حرام لا ينظرها **(مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ شَوْءٍ)** أي ليس عنده لا نظرة حرام ولا أن يمس من حرام ولا أن يضاف بحرام مثلاً، ولا ولا إلخ..



(قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَمَ الْحَقُّ) المعنى: الباطل له حصّة والحق له حصّة لكن في النتيجة حصّة الحق أقوى من حصّة الباطل، ف (حَصْحَمَ الْحَقُّ) أي ظهر واستبان وأخذ حصته الكاملة، (الآن حَصْحَمَ الْحَقُّ) لم يعد هناك مجالٌ للموازاة أو للإنكار أو لأي شيءٍ من هذا القبيل، (قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَمَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) وتقول ذلك بمحضِ الناس، والواضح من الآيات أن يوسف ليس حاضراً، حتى الآن لم يخرج من السجن كما يذكر البعض أنه أخرج ليرى المحكمة، واليه أعلم لم يكن موجوداً، (الآن حَصْحَمَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) وهذا اعترافٌ صريحٌ والاعتراف سيّد الأدلة قالت: (أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ) وتؤكد ذلك بخمسة مؤكّدات، المؤكّد الأول: هو الجملة الاسمية، والجملة الاسمية في اللغة العربية مؤكّدة، غير الجملة الفعلية، إذا قلت: يدرس الطالب، الأكّد منها أن تقول: الطالب دارسٌ، هذه أكّد، ثم إنها أكّدها ب (إِنَّ) وإنّ تغيد التوكيد، فإن قلت: السماء صافيةٌ، شيء، وإن قلت: إنّ السماء صافيةٌ، شيء آخر يُغيد التوكيد، ثم أكّدها ب (اللام) التي تأتي في خبر (إِنَّ) قالت: (وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ) زيادةً في التوكيد، اعترفت.

حقيقة ثابتة لا تتغير:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)

(سورة يوسف)



يجب أن نفهم قوائين القرآن الكريم

(ذَلِكَ لِيَعْلَمَ) أي يوسف (أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) قالت: (لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) أنكلم الحقيقة في غيابه، هناك خيانة في الشهادة، وهناك خيانة في الغيب، قالت: (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) قلت الحق، (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) وهذه العبارة سواءً كانت من كلامها؛ كما يذكر أكثر المفسرين، أو غير ذلك، لكنها حقيقةٌ وقانونٌ ينبغي أن نفهمه تماماً، الخائن يَكِيدُ، والكيدُ بفعله دائماً الضعيف ليصل إلى مآربه، لكن الله تعالى لا يهدي كيد الخائنين، فمهما بدا لك أن الخائن قد وصل إلى مُبتغاه قل: إنّ الله لا يهدي كيد الخائنين، كما أنك مهما بدا لك أن المُفسِد قد وصل إلى مُبتغاه فقل: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) يجب أن يكون إيماننا بالقرآن أكثر من رؤيتنا لبعض الوقائع التي تُوهِمُنَا بخلاف ذلك، تقول: هذا مُفسِدٌ لن يُصلح الله عمله لأنّ الله لا يُصلحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ، ولا يهدي كيد الخائنين، ولا يُصِغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، هذه قوائين في القرآن الكريم ينبغي أن نفهمها، خائنٌ والله تعالى يهديه لتحقيق كيدِه معاذ الله!! ربما إلى حين ليتحقق الامتحان، وإلا لو كان لا يُحقّق له مُبتغاه من اللحظة الأولى لما أقدم خائنٌ على الكيد، ولما أقدم مُفسِدٌ على إفساد، ولما ترك مُحسِنٌ إحساناً يرجو أجره لأن كلّ شيءٍ محقق، يعني لو كان الله عزّ وجلّ يُحسِنُ فبأنتك الأجر فوراً بعد دقيقة، كل الناس يحسنون لا جيّاً في الإحسان وإنما جيّاً بالأجر، فالله تعالى يُؤجّر مكافأةً المُحسِنين ويُؤجّر معاقبةً المُفسِدين لكنه لا يهدي كيد الخائنين، ولا يُصلحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ، ولا يُصِغُ أَجْرَ الْمُضِلِّينَ، ولا أجْرَ الْمُؤْمِنِينَ، ولا أجْرَ الْمُحْسِنِينَ هذه شئنه في الأرض.

فقالت: (وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)

(سورة يوسف)

هذا أولاً دليلٌ على أن العصر عموماً الذي قلنا: إنه عصر الهكسوس الذي ذهب به الفراعنة وجاء الهكسوس، عصر الرعاة، وهذا إعجازٌ فرائني لأنه يذكر ملكاً ولم يذكر فرعون لأنه ليس في عصر الفراعنة في مصر، فهذا العصر كان فيه بقايا إيمان، نلاحظ فيه أن العزيز والملك وامرأة العزيز تكلموا بقضايا فيها بعض الإيمانيات، فهذا يدل على أن هذا العصر كان فيه بعض الإيمانيات.



جُبُّ أَحَدِهِمْ يَجْعَلُنَا تَقَرُّبَ إِلَيْهِ بِمَا يُحِبُّهُ

الأمر الثاني: قال بعض المفسرين: إن امرأة العزيز ما يزال قلبها مُعلقاً بيوسف عليه السلام حتى تلك اللحظة، فأرادت أن تستجلب قلبه بما تعلم بأنه يُحِبُّهُ وهو الاعتراف بالخطأ وعدم تبرئة النفس والقول (إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي) وهو الإله العظيم جلَّ جلاله مع أنهم كانوا يتخذون الملوك أرباباً من دون الله، ولكن أرادت أن تتقرب إليه بما يُحِبُّهُ وهذا شأن المحب، فإذا أحبَّ الإنسان شخصاً جعل يتقرب إليه بما يُحِبُّهُ هذا الإنسان، فقالت: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) وهذه حقيقة أيضاً سواءً على قول من قال: إنها تنمُّ كلامها، أو على من قال: إن يوسف أجابها (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) فهو قولٌ حقٌ أكدته القرآن الكريم (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) وهنا أيضاً المؤكدات السابقة نفسها: (إِنَّ) و(اللام) والجملة الاسمية (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) وأضيفَ لها تأكيد آخر وهو أنها لم تقل: إِنَّ النفسَ لامرأةٌ بالسوء، وإنما قالت: (لَأَمَّارَةٌ) أي كثيرة الأمر، فنفسك لا تأمرك مرةً فتتركها ولا تستجيب لها فتتركك وتملأ منك، ولكنها تُعيد الكرة وتُعيدها وتُعيدها ولا تباث منكَ إلا بعد أن تعلم أنك لن تُجيبها، لكن تبقى تأمر بالسوء، لكن يخفُّ أمرها عندما ترى أنك مصّرٌ على إيمانك وعلى طاعتك (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) أي كثيرة الأمر بالسوء، (إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمر:

{ إِيَّاهُ يَا ابْنَ الْخَطَابِ ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْتَ الشَّيْطَانَ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا؛ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ }

(صحيح الجامع)

لأن عمر شديدٌ في الله فلا يقوى عليه شيطان، (إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي).

المغفرة والرحمة وقايةٌ وعلاج:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)

(سورة يوسف)

(إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) المغفرة والرحمة من أجمل ما قرأت فيهما أنهما علاج وقائي وعلاج دوائي إن صحَّ التعبير، المغفرة: تقع في الذنب فيغفر الله لك ذنبك، يستره عليك ويمحوه، هذه مغفرة، الرحمة: يملأ قلبك بسكينة تمنعك من الوقوع في الذنب بنفسه مرة ثانية، فالمغفرة هي العلاج والرحمة هي الوقاية، فرحمة الله إذا تجلَّى بها على قلبك منعك من الوقوع في الذنب، ومغفرته أنك إن وقعت في الذنب جاءك الستر (إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

الملك بعد أن رأى براءة سيدنا يوسف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54)

(سورة يوسف)

الآن الملك بعد أن رأى براءته وعَفَّتْه وطهارته وعَلِمه وإحسانه، في المرة الأولى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ (50)

(سورة يوسف)

لم يقل: (أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي)، بل (ائْتُونِي بِهِ) يُفسِّر الأحلام بطريقة عجيبة جميلة رائعة (ائْتُونِي بِهِ) هذا كُلُّ ما لديَّ عنه (ائْتُونِي بِهِ)، لكن الآن المرة الثانية (أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي) لو جاءه في المرة الأولى لمجرَّد أن قيل له: أخرج من السجن، فخرج وهو متهمٌ ثم أصبح الناس يتهاَمسون عليه لربَّما الملك ينفِزُ منه بعد حين، لكن الآن (ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي) لم يقل: ائْتُونِي بِهِ من أجل أن يعود كما كان عبداً في القصر وخداماً بل (أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي) أريد أن أجعله خالِصاً لي.



يوسف لا يستخلصه لنفسه إلا خالقه جلَّ جلاله

دخل السجن مُتَهماً خرج منه إلى قصر الملك، خرج من القصر عبداً وعاد إليه أهمُّ من عزيز مصر لأنه سينقذ البلاد الآن، بيده الخلاص، هو فسَّر الحلم والآن سيطبِّق ما فسَّرَه على أرض الواقع (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي) ويوسف لن يستخلصه أحدٌ إلا الله، فهو من عباد الله المخلصين، لكن هذا قول الملك، يظنُّ أنه يستخلصه لنفسه، لكن يوسف لا يستخلصه لنفسه إلا خالقه جلَّ جلاله.

(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ) الآن انتقل من السَّماع إلى المُعابنة (فَلَمَّا كَلَّمَهُ) أخذ وردُّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54))

(سورة يوسف)

(مَكِينُ) أي أنت في مكانٍ لا يستطيع أحدٌ أن ينالَ منك، محفوظ، (أَمِينُ) والأمين: أنت مؤتمنٌ على ما نريدُه منك، بعبارةٍ أخرى هي الخبرة والولاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26)

(سورة القصص)

فالقوة جزءٌ والأمانة جزءٌ آخر، فهنا يوسف (مَكِينُ أَمِينُ) ممكنٌ محفوظٌ ومؤتمنٌ، الأمران معاً.

طلب سيدنا يوسف للولاية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)

(سورة يوسف)



القحط كان عاماً عند طلب يوسف للولاية

يوسف الآن يطلب ولاية (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ) وطلب ولاية محددة وهي أن يكون مسؤولاً عن القوت والغذاء (خَزَائِنِ الْأَرْضِ) جمع خزانة وقال: الأرض لأنه كما سيتضح لنا بعد قليل أن هذا القحط كان قحطاً عاماً ولم يكن خاصاً ففقد جاءه إخوته من مكانٍ آخر، فالقحط عمٌ، فيوسف يقول: الأرض بهذا المعنى أو الأرض بمعنى الأرض المعهودة وهي أرض مصر، على الحالتين، (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ).

(إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) عندي خبرة وعندي أمانة، الأمانة والخبرة، (حَفِيظٌ) أحفظ بخبرتي الأمر، لا أضيع الأموال، لا أهدر المال العام (عَلِيمٌ) عندي خبرة، أمانة وخبرة، كعلم الحديث؛ في علم الحديث يُطلب من كل راوٍ أن يكون صابغاً، ثقةً، العدالة هي الأمانة، والضبط هو الحفظ (حَفِيظٌ عَلِيمٌ).

(اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) عندنا هنا سؤالان، السؤال الأول: كيف يطلب يوسف الولاية والنبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح يقول:

{ إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا خَرَصَ عَلَيْهِ }

(رواه البخاري)

في قواعد الإسلام أن من يقول لك: اجعلني وزيراً لا تجعله وزيراً، انتِ بإنسانٍ تطلب منه فيقول لك: أعفني أرجوك، لأن هذا يكون نظيفاً في الأعم الأغلب، أما الذي يطلب فيغلب أن لديه ماربٍ أخرى، ففي قواعد الإسلام أنه لا يُؤلى من طلب.

الأمر الثاني: أن يوسف يَمْدَحُ نفسه (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَّا تُزَكُّوا ۖ أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (32)

(سورة النجم)

لا تقل عن نفسك: أنا فلان، حسناً كيف تُجيب على ذلك؟ من أسهل الأجوبة أن نقول: إن هذا شرعة يوسف وبُشِّرُ من قبلنا ليست بُشِّرَنا، كما قال بعض الناس لما وصلوا إلى الكهف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ آمُرِهِمْ لَتَنْخَذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)

(سورة الكهف)

فهل يجوز أن نتخذ مسجداً في ديننا على الأولياء الصالحين؟ كحكم شرعي لا يجوز، فبُشِّرُ من قبلنا ليست بُشِّرَنا، هذا أسهل الأجوبة لكن أنا لا أقتنع به حقيقةً، لا أنكره لكن لا أقتنع به.

عدم طلب الولاية لا يعني الانسحاب وعدم تحمل المسؤولية:



أهمية المبادرة وتحمل المسؤولية في بناء المجتمع

أعتقد أن المسألة أعمق من ذلك، هذه المسألة مسألة مختصة بأعماق النفس فليس لها علاقة فقط بالشرعة، بل لفهم لماذا طلب يوسف عليه السلام؟ طائفة وأحد مرضى القلب علي متن الطائرة أصابه احتشاء قلبي حاد، وبدأ مصيف الطيران أو كابتن الطائرة يُنادي على الناس: إن كان هناك طبيب فليأت إلينا، فأحد الأطباء جالس فقال في نفسه: لن أطلب هذه الولاية، نقول له: هذا انسحاب من الشأن العام، يوجد خطر، ليست الأمور مستقرة، هنا يقول: **(اجعلي علي حرائن الأرض)** عندي مشكلة جسيمة، عندي سبع سنوات عجاظ إذا لم نقم بحققها كما ينبغي فهناك مشكلة، فيوسف الآن يعرض نفسه للخطر، يأتي في وقت عصيب، يريد أن يحمل مسؤولية لا يُنكر أحد أنها مسؤولية عظيمة يهرب منها الناس، الوقت ليس وقت مغامر هنا، الوقت وقت مغارم، فهو يطلب مغرماً هنا ولا يطلب مغتماً، وينبغي أن نقتردي به عندما تجد في منطقة ما يوجد مغرم وأنت تستطيع أن تفعل قل: أنا طبيب مختص بهذا الموضوع، ابتعدوا أنا أريد أن أقوم بالأمر، لا تقل: أنا أنسحب حتى لا أطلب الولاية ولا أركي نفسي، زك نفسك وعرف نفسك من أنت واقتحم حتى لا يقتحم غيرك فيؤدي، وهذا معنى ينبغي أن نستفيد.

الأحكام الشرعية تُطبَّق على مجتمعات مسلمة ولا تُطبَّق في الفراغ:



الأحكام الشرعية ليست منفصلة عن المجتمع

الأمر الأخير الذي أريد أن أقوله هنا أيضاً في المسألة نفسها: الأحكام الشرعية في الإسلام ليست منفصلة عن المجتمع، بمعنى أن المجتمع هو الذي بنى الفقه الإسلامي، المجتمع السليم المؤمن هو الذي نفذ الأحكام التي تُطبق، أحكام الشرعة لا تُطبق في الفراغ، أحكام الشرعة تُطبق على مجتمع مسلم، اليوم من أسوأ ما يأتينا من فتاوى: أنك تجد أحياناً سؤالاً عن حد الردة، مثلاً، يا أخي حد الردة بغض النظر عن تفاصيله التي لن نخوض بها الآن لأنه ليس وقتها، لكن حد الردة يُطبق على مجتمع مسلم، حد الردة هو حماية لمجتمع مسلم، فإذا كان المجتمع المسلم غير موجود أصلاً، وإذا كان عقل الإنسان محدوداً فمن الطبيعي أن يُنكر حد الردة لأن فيه إكراهاً على الدين، لأن المجتمع الذي يُطبق فيه الحكم ليس موجوداً، أما أن يكون أمة إسلامية مسلمة حقيقةً بلغت فيها أنها تُطبق أحكام الشرعة وتصل إلى الحدود التي هي آخر المطاف التي هي السياج الذي يحمي الدين، فالأحكام الشرعية تُطبق على مجتمعات مسلمة ولا تُطبق في الفراغ.

فلما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّا لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَقْلِ مَنْ سَأَلَهُ)** لا تُعطي الولاية من طلبها، في الوقت نفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم من أصحابه يُحسِنُ الإدارة، ومن يُحسِنُ الفرائض، ومن يُحسِنُ جمع القرآن، ومن هو أمين هذه الأمة، ومن.. يعلم خبرات أصحابه ويضع كل شخص في موضعه، عندها يقول: **(إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَقْلِ أَحَدًا سَأَلَهُ)** لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من يضع كل إنسان في موضعه ولا يضع لإنسان عمله، أما عندما تكون في مجتمع يُعَيِّنُ الناس بالوسائط وبالرشاوى وتقول لشخص: لا تزك نفسك! لا يا أخي سأزكي نفسي وسأقول: أنا خبير بهذا الموضوع وأنا أريد أن أتسلمه لأن المجتمع غير متجانس وغير صحيح لتطبيق أحكام الشرعة في الأصل، فلا ينبغي أن نفصل أحكام الشرعة عن الواقع، أحكام الشرعة مبنية على واقع إسلامي صحيح، اليوم معظم أمورنا التي تتداول بها أحكام الشرعة نفصلها عن الواقع فنقع في هذا الإشكال.

تخيّل عندما تريد أن تدرس أي حكم شرعي أنه كان يُطبق في مجتمع المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، طبعاً هذا أقوله على مستوى الأحكام الشرعية السياسية العامة والحدود والعقوبات والسياسة الشرعية وليس علي مستوى الصلاة والصوم، نحن اليوم نُصلي ونصوم وإن شاء الله أمام الله تباركاً وتعالى وهذا الذي نريده، لكن عندما ننظر إلى الأعلى للذي أنا غير مسؤول عنه أمام الله عز وجل، وإن كنت أجهل وأسعى إليه لكنني لست مسؤولاً عنه، عندما ننظر إلى الأشياء العظمى لا ننظر إليها على أنك تريد أن تُطبق اليوم في واقعنا هذا المأساوي الذي نعيشه، ننظر إليها على أنها تُطبق في مجتمع مسلم، هذا هو الأمر.

سبب طلب سيدنا يوسف للولاية:



المسلم شخص حكيم يقود الأمور بشكل صحيح

فهنا يوسف عليه السلام كان مُحَقِّقاً تمام الحق، بل كان مُطالباً بما فعل بأنه قال: **(اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ)** لن أترك أحداً من هؤلاء الشاردين والبعيد، ثم من زاوية أخرى كيف يُطبق يوسف دعوته ورسالته، الله تعالى هو الذي فتح له هذا الباب باب الإصلاح وهنا أيضاً شيء مهم جداً: كنيّز من الدول التي نهضت على يد أشخاص معروفين باتجاههم الإسلامي بدأت بإصلاح دُنياهم، هذا واقع، فأنت عندما تُصلح لهم دنياهم يلتفتون إليك، فيوسف كان هذا طريقه، الطريق الذي فتحه الله ليوسف بالدعوة أن ينجح في حفظ قوت الناس في السنوات السبع العجاف، فيكون ذلك باعثاً لهم إلى النظر إليه على أن المسلم ليس شخصاً عادياً، وإنما شخص حكيم يقود الأمور بشكل صحيح ومؤيد من السماء طبعاً فيستجيبون له، فيوسف الآن يريد أن يُؤدّي رسالته فإن لم يكن على خزائن الأرض فلن يستطيع أن ينشر دعوته وأن ينشر الحق في الأصقاع، فطلب الولاية من أجل أن يصل إلى الهداية، فقال: **(اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)** وهنا يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)

(سورة يوسف)

وبدا هنا امتحانه الذي لا يقلُّ عن امتحاناته السابقة ولكنه من نوعٍ آخرٍ، إنه امتحان التمكين بعد امتحانات الاستضعاف، فجاءه امتحانٌ جديدٌ هو امتحان التمكين في الأرض (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ).

وفي اللقاء القادم إن شاء الله تعالى سنتحدث عن امتحان التمكين وأكتفي بهذا القدر، وأستغفر الله العظيم وأسأل الله لي ولكم السلامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نور الدين الاسلامي